الجراد والجمبري

بقلم عادل آدم

تطلع من النافذة ، ثم قال ـ الجو ينذر بعاصفه ..

وعاد الى مقعده فارتمى فوقه وهو يزفر ... وتطلعت الى زوجته فأشاحت بوجهها بعيدا عنى ..

واستطرد كمال ـ لن ينقى الجو سوى سقوط الامطار .

قلت بقلق وددت رغبة جدية فى النقاش ـ هل تظن .. ؟

فقال ـ أكيد

وناولنى سيجارة فأشعلتها .. ونسيت العود فى يدى فترة مشتعلا دون اطفاء .. أحس بنظرات زوجته منصبة فوقى .. أحس لسعها كالابر تماما فى جلدى ..

سألنى ـ ما رأيك فى هذه السيجارة.

لم أفهم .. سألته ـ ماذا تعنى ؟

ـ ليس هذا النوع ما تفضله .. انه نوع ردىء لكن لم أجد غيره .. ألم تلحظ الفارق؟ قلت بدهشة وانا أقلب اللفافة فى يدى بضيق ـ لا .

قال بتأكيد ـ هذا حقيقى .. المهم الا تعرف أن النوع ردىء .. وستجد أنك تشربه دون أن يتملكك الاشمئزاز .. بلذة وبشغف .. هل تعرف سأروى حادثة مرت بى والتفت ناحية زوجته .. زوجته جميلة .. رشيقة كأنها عارضة أزياء وعيناها كبحيرتين عميقتين قال : ـ سلوى .. اسمعى هذه القصة ، ولكن هل انت متعبة ..

هى متعبه للغاية .. فى الواقع هى فى غاية التعب .. ولكنى أيضا متعب ؟ .. ربما أكثر . متعب بثقل ما أحمله فى صدرى من احساس مختلط متباين .

ـ سلوى .. حبيبتى هل أنت مريضة ...

وضع كفه فوق جبهتها بحنو وحب ومال عليها مستفسرا ..

ردت بتردد ـ اننى بخير .. ليس بى من سوء .. لاتقلق هكذا اننى بخير ..

ـ ولكنك شاحبة .. يبدو الارهاق على صفحة وجهك الجميل .. أنت مريضة ياحبيبتى . وانحنى يقبلها . اختفى وجه صديقى خلف سحابات كثيفة . انحسرت فى دوائر آخذة فى الاتساع .. تكشفت عن وجه صديقنا رمزى .. رأيت رمزى يميل عليها مقبلا وهى مرتاحة بين زراعيه فى استسلام وضعف .. كدت أصرخ .. غيرى انى سمعت صوت كمال ..

ـ هل أنت متأكدة أنك بخير ياسلوى؟

قالت ـ بكل خير ياكمال ·· لماذا لاتكمل تلك الحكاية التى كنت سترويها ·· أنسيت ؟ صاح متذكرا

ـ آه ! ·· اسمع القصة ياعباس ·· سوف تفيدك ··

جذب نفسا من السيجارة واضطجع على كرسيه وأخذ يروى القصة ···

حين كنت أعمل بالسعودية · ·أنت تعرف اننا عملنا فترة هناك ·· المهم ·· دعيت ذات مرة الى منزل صديق ·· وقدموا الى بعض المأكولات الخفيفة ·· منها طبقابه نوع من الجمبرى على ماأعتقد ·· قالوا الى هذا جمبرى سعودى ·· كان يشبه زميله المصرى وكان مشويا ·· هل تعرف كان طعمه لذيذا ·· فى الواقع كان لذيذا جدا حتى انى نسيت نفسى وأتيت على كمية كبيرة منه ··

وبعد عدة ايام قابلنى ذلك الصديق ·· وفى معرض حديثنا فاجأنى بقوله ·· أخبرنى هل أعجبك الجمبرى ·· صحت من فورى ·· للغاية ··فقال ·· هل تعرف ·· انه ليس جمبريا ·· هل يمكن أن تخمن ما هو ·· لا تستطيع ·· بالطبع ·· ولن يخطر على بالك مطلقا ·· انه جراد ·· صرخت ·· جراد ·· ياربى ·· جراد ··

قال مؤكدا وهو ينفجر بالضحك ـ جراد ·· مجرد جراد ·· لم يكن سوى جراد ·

أسرعت يومها الى أقرب دورة مياه وأفرغت مافى جوفى رغم مرور عدةأيام على أكلى ذلك الجراد اللعين ·· ورقدت جسدى ·· وأحس بدبيب أقدام الجراد تسرى فى دمى وتجعل جلدى يقشعر رغما عنى ·· هل تصدق هذه الحكاية ··

وانفجر فى الضحك من نفسه ثم توقف وهو يلهث وقال :

ـ لكن ما الذى ذكرنى بهذه القصة آه انها تلك السيجارة التى لم تكد تعرف نوعها حتى تركتها بعد أن وصلت الى نصفها ·· هل تفهمنى ·· لعلنا فهمنا ·· وقلت دون متابعة جادة لكلامه :

ـ آه · ·انه رأيك ·

قال بتأكيد :

ـ دون شك · · واتجه نحو زوجته ومال يستفسر عن صحتها ومزاجها ··· ومرة أخرى يغيب وجه كمال عن عينى ويبدو وجه رمزى أمامى ساخرا بشعا كوجه الخطيئة ·· ورفعت بصرى نحو صورة الزفاف المعلقة ·· خيل الى أن رمزى يحتل مكان أحمد وقد أزاحه الى الطرف البعيد من الصورة ··

أحسست بتعب ·· ودوخه ثقيلة تلف رأسى فتطمس المرئيات أمام عينى وثقل تنفسى وشعرت باختناق وضيق وكان الهواء قد ركد وأصبح الجو لا يطاق ·

نهض كمال وهو يزفر وصاح بتلهف ـ يجب أن تمطر الآن · · لن يعيد للجو نقاءه سوى الامطار ·· الامطار لتمطر الآن وسينتهى كل شىء ··

رميت بنظرى نحوه ·· وهو يتحرك فى نواحى الحجرة ·· وهو يتطلع الى النافذة ·· وهو يميل على زوجته سلوى ·· وهو يهيب ·· بالسماء أن

تمطر .. ثم حدت ببصرى اليها .. ونسيت نظراتى مسددة الى وجهها واشتبكت نظراتنا كالاسلاك الشائكة

ولعلها حاولت أن تخلص نظراتها ولم تفلح .. فانفجرت فى البكاء فجأة وارتفع نشيجها عاليا مختلجا .

ارتاع أحمد .. وهرع نحو

ـ سلوى مالك ياحبيبتى ...

بذلت جهدا خارقا لتتمالك نفسها وجففت دموعها بسرعة . . الا أنها لم تستطع أن توقف الرعدة المسيطرة على صوتها وجسدها .

ـ لا شىء .. لا شىء .. انه بعض الضيق .. الجو خانق ..

ردد بحيرة وذعر ـ أجل .. أجل .. واتجه نحوى .. أدركت .. انها مريضة دون شك .. أعصابها متعبة للغاية ..

ربما لم يلحظ أثرا لكلماته على وجهى .. واشعلت سيجاره من علبتى وناولته واحدة .. فأخذها ثم أعادها وهو يتحرك بقلق ثم مال عليها وصوته يتهدج ـ سلوى .. ابكى .. سوف يفيدك البكاء .. : ابكى ياحبيبتى .. استمرى فى البكاء ..

فانخرطت فى العويل وشهقاتها المتشنجة تخرق أذنى بحدة ..

ونهضت واقفا واعتذرت طالبا الانصراف .. فاحتج كمال .. وصاح فى وجهى ـ هل تنصرف وتتركنى فى مثل هذا الحال .. ألا ترى أن سلوى مريضة .. كذلك لم نتحدث عن ذلك الأمر الذى أخبرتنى أنه هام وعاجل ..

قلت بضعف ـ أوه .. لا أذكر ..

وتحركت الى الباب فصاح مختجا .

ـ لكن سلوى مريضة ..

ألقيت بنظرة نحوها وقلت :

ـ لعلها بخير الآن .